

محاضرات علم الجمال

لطلبة سنة أولى ماستر، تخصص أدب قديم

الأستاذ دياب قديد

المحاضرة الأولى

علم الجمال مفاهيم ورؤى

يتفق الدارسون والباحثون على أن علم الجمال من أقدم العلوم التي تناولها الفلاسفة والمفكرون، حيث نجد في الفلسفتين الصينية والهندية تأملات جمالية في غاية الأهمية، وقد عدّه الإغريق مادة الفن.

ولو عدنا إلى كلمة الجمال (الاستيطيقا) (Esthetic(esthétique) مشتقة من Asthesis اليونانية وتعني الشعور أو الحدس. وقد أفرد لها فلاسفة اليونان حيزا منها في كتاباتهم الفلسفية، إذ يعتبر أفلاطون الفن محاكاة للجمال، وتحقق المتعة الجمالية من خلال الانسجام بين شكل العمل الفني وجمال الفكرة، لأنه كلما كان هناك تناسب بين الشكل والموضوع كلما حدث هذا التذوق الجمال، ويرى أفلاطون أن الجمال الأصيل ينبع من الفكرة الجميلة.

ويؤيد أرسطو فكرة أن الفن يعتمد على المحاكاة، وقد ميّز أرسطو بين الفن النافع والفن التقليدي ويرى أرسطو أن الفن ليس مجرد استنساخ أو محاكاة، بل هي عملية التصوير الفني لنموذج مثالي يقول أرسطو «ولما كان المحاكون إنما يحاكون أفعالا أصحابهم بالضرورة. إما أختيار وأشرار لأن اختلاف الأخلاق يكاد ينحصر في هاتين الطبقتين، إذ تختلف أخلاق الناس جميعا بالذيلة والفضيلة، فإن الشعراء يحاكون إما من هم أفضل منا أو أسوأ منا»⁽¹⁾.

يتضح من هذا القول أن أرسطو مهتم بالفن من منطلق أنه محاكاة للأشياء الجميلة وللنفوس النبيلة وقد تتحقق المتعة الجمالية من خلال أن «مهمة الشعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت بل رواية ما يمكن أن يقع، والأشياء ممكنة إما بحسب الاحتمال أو بحسب الضرورة، ذلك أن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يرى الأحداث شعرا والآخر يرويها نثرا، فقد كان من الممكن تأليف

تاريخ فيرودتس نظماً، شعراً، والآخر يرويها نثراً»⁽¹⁾. ولهذا يرى أرسطو أن المحاكاة جميلة في الإنسان تنشأ معه منذ طفولته، وتتطور بتطور الوسائل والمدركات المعرفية لهذا يقول أرسطو «يبدو أن الشعر نشأ عن سببين: كلاهما طبيعي، فالمحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة «والإنسان يختلف عن سائر الحيوان في كونه أكثرها استعداداً للمحاكاة، وبالمحاكاة يكتسب معارفه الأولية» كما أن الناس يجدون لذة في المحاكاة»⁽²⁾.

وقد أشار أرسطو إلى أن للفن وظيفة اجتماعية فهو من جهة يوفر الراحة والتسلية ومن جهة أخرى يعمل على تطهير الانفعالات ويهدب أخلاقاً ونحن بأمس الحاجة إلى الفن لتطهير انفعالاتنا وأحاسيسنا ومشاعرنا ويقول أرسطو «إن المأساة إذن هي محاكاة فعل نبيل تام، لها طول معلوم، بلغة مفردة بألوان من التزيين تختلف وفقاً لاختلاف الأجزاء، وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون لا بواسطة الحكاية وتثير الرحمة والخوف فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات وأقصد اللغة المزودة بألوان من التزيين تلك التي فيها إيقاع ولحن ونشيد وأقصد بقولي «تختلف وفقاً لاختلاف الأجزاء أن بعض الأجزاء تؤلف بمجرد استخدام الوزن وبعضها الآخر باستخدام النشيد»⁽³⁾.

إذن يؤكد أرسطو على أن المحاكاة تحقق مسألة التطهير للسلوكات والانفعالات ولهذا يكون الفن أمراً ضرورياً من الناحية الاجتماعية.

انطلاقاً من هذا فإن الجمال قيمة لا غنى عنها للأفراد والمجتمعات في حياتهم، وتكتسي أهمية هذه القيمة لما تتركه من آثار في السلوك الفردي والجماعي ويخطئ من يعتقد أن الجمال مرتبط بالشكل الخارجي فقط، وليس له أي تأثير في نفسية المشاهد أو القارئ أو المستمع، بل العكس إن قيمة الجمال تتحدد من خلال مظهراتها في السلوك ولهذا تسعى الشعوب على التربية الجمالية في الأفراد والجماعات بهدف خلق نظام متكامل من ناحية الإنسان والطبيعة، لأن كلما حقق الإنسان هذا الترابط بين الإنسان والطبيعة في تصور الأشياء وخلقها وتقديمها إلى الإنسان، كلما كان قادراً على خلق أشياء جميلة في الطبيعة، لأن النموذج الأسمى من الإنسان هو هذه الأشياء الجميلة في الطبيعة، لأن النموذج الأسمى عند

الإنسان هو هذه الأشياء الجميلة في الطبيعة، ونحن نهدف إلى تمثيل جميل وعلى حد تعبير كانط «الفن ليس تمثيلاً لشيء جميل، وعلى حد تعبير كانط «الفن ليس تمثيلاً لشيء جميل، وإنما هو تمثيل جميل لشيء من الأشياء ويضيف شارل لالو ولو كن هذا الشيء قبيحاً».

وإذا كان علم الجمال في عرف الشعوب القديمة قد اتسم بعدم الوضوح في المفهوم والوظيفة، فإنه قد أخذ دلالة كبيرة في الدراسات الغربية الحديثة من حيث إنه قد شكل أهمية كبيرة للدارسين والمفكرين، إذ يرى شوبنهاور أن الفن تحرير المعرفة من الإرادة التي تخضعه لمقوماته والسمو بالعقل إلى مرتبة التأمل، وبرأيه فإن الشعر هو أعلى الفنون جميعاً، لأنه يترج بين الموسيقى والتصوير.

أما كروتشه فالجمال عنده هو «التكوين العقلي لصورة ذهنية أو لسلسلة من الصور يتمثل فيها جوهر الشيء المدرك، لأن الجمال يتعلق بالصور الباطنية أكثر مما يتعلق بالخارج، إنه تجسيد للحركة الباطنية.

لقد قدمت الدراسات الفلسفية المعاصرة رؤى وأفكاراً حول الجمال من ناحية المفهوم والدلالة والوظيفة.

المحاضرة الثانية:

أسباب دراسة علم الجمال:

ليس من قبيل الصدفة، أو من باب الكماليات أن يهتم الفكر المعاصر بالجمال، ويعقد أبوابا وفصولا للجمال من حيث المصطلح وأسباب الاهتمام بالجمال، ووظيفته، بل إن حاجة الإنسان أكبر إلى الجمال، وتتلخص ذلك فيما يلي:

1- استحالة الإمام الدقيق بالعلاقات الحية بين القارئ والأثر الفني، وبين المشاهد والصورة والمستمع والرسالة الصوتية، وعلى هذا الأساس تسعى الدراسات الجمالية إلى إبراز بعض القيم الجمالية المشككة للعمل الفني والتي تجعل من التجربة الإبداعية مؤثرة قصد الربط بين القارئ والعمل الفني.

2- لا تستقيم حياة الإنسان إلا بالحاجة إلى المعيشة الفعلية للفن، وأن يكون حاضرا في حياتنا.

3- إن من أسباب دراسة علم الجمال الرغبة في التطهير الأخلاقي والنفسي والروحي من خلال ما يقدمه علم الجمال من فوائد وإرشادات للإنسان.

4- يقوم الجمال بتهديب سلوكياتنا وأخلاقنا.

5- حينما ندرس علم الجمال نحن نتوخى التمييز بين الجيد والردىء.

6- إن الغاية من دراسة علم الجمال هو أنه يقوم بإحداث التوازن النفسي في الوجود الإنساني الذي يتوزع بين مدّ وجزر، بين الصراع، بين الأخلاق النبيلة والسلوكيات الدنيئة وأنواع الرذائل التي تعصف بالإنسان وتحاول أن تجعل عبدا للأشياء القبيحة والسيئة.

لهذه الأسباب وغيرها تكون حاجتنا ملحة لدراسة علم الجمال رغبة في تحقيق المتعة الجمالية في تذوق الأعمال الإبداعية المختلفة من جهة، والوقوف على مواطن الجودة والرداءة لأي عمل فني من أجل تكون دراستنا دراسة موضوعية بعيدا عن الانطباعية أو الذاتية ولتحقيق التوازن النفسي والروحي في نفوسنا من جهة أخرى وبناء على هذا فإنه لا مناص لأي إنسان من الولوج إلى عالم الكماليات سواء أكان على مستوى المشاهدة أو الاستماع أو القراءة لأن العمل الذي يفوح بعبق الكماليات وينضح بالقيم الجمالية المتعددة، من شأنه خلق عالم جميل يسوده الحب والتعاون، والعمل من أجل تحقيق المصلحة العامة.

المحاضرة الثالثة:

العوامل المؤثرة في التذوق الجمالي.

لاشك أن الإنسان بحاجة ماسة إلى إدراك الجميل، وتلقيه من حيث الحاجة إليه، لأن الأشياء الجميلة تدرك بسرعة، وتتجاوب معه بشكل فطري، ولهذا أصبح من الضروري تلمس مواطن الجمال في المرئيات والمسموعات، إحساسنا بها بقدر إدراكنا لقيمتها الجمالية وعليه تتفاوت الأشياء من الناحية الجميلة بحسب تشكيلها وخلقها وصياغتها، لأن الأداء والصياغة عامل أساس في عرض الموضوع عرضاً جميلاً يكون قادراً على ترك الأثر الجمالي في النفوس وجعلها تهتز لذلك وتطرب.

من هنا فإن أي عمل فني ينبغي أن يصاغ وفق آليات معينة، ويقدم وفق طرائق محددة تعمل على إحداث متعة ولذة في النفوس، ولكن هذه الأعمال الفنية الجميلة، والمعروضة يجب أن تتوفر فيها جملة من العناصر التي تسهم في بلورة القيمة الجميلة للعمل، والتي بدورها تعمل في التأثير في التذوق الجمالي لدى المتلقي أو القارئ اتساقاً مع هذه الفكرة فإن هناك عوامل مؤثرة في التذوق الجمالي، وهي تتراوح بين عوامل مهمة جداً وأساسية وبين عوامل ثانوية، ولكنها من الضروري حضورها في العمل الفني.

1-العوامل المهمة جداً (الأساسية):

إن قيمة العمل الفني تتمحور بالأساس حول مدى ارتباطه: بجملة من العناصر المشكلة له، ولعل أبرزها ما يلي:

1-التناسب: وهو مراعاة مدى تلاحم بين أجزاء العمل الفني وينسحب ذلك التناسب على الكائنات الحية، إذ أن هناك تناسباً منطقياً بين الأجزاء، وإذا ما اختل عنصر من هذه العناصر سيحدث لا محالة خللاً على مستوى البنية الجمالية بين هذه الأجزاء، فقد تكون غلبة الحضور لجزء دون سائر الأجزاء.

2-التنوع: يعرف التنوع أنه تعدد في العناصر والوسائل التي تشكل الصورة البصرية أو الذهنية أو المسموعة أو المقرّوة والتنوع ضد المماثلة في الأشياء وكلما كان هناك تنوع في التدرج في الأشكال من خلال الهيئات والأجسام كلما كان الشيء جميلاً لهذا السبب يركز فلاسفة الجمال على ضرورة التنوع في العمل الفني.

2-العوامل المساعدة (الثانوية):

ويشير علماء الجمال إلى جانب العوامل المهمة جدا هناك عوامل لا تقل قيمة عنوها من حيث التذوق الجمالي لأنها تسهم في جعل العمل مؤثرا جدا، وهي كالآتي:

أ-البساطة:

إن الغاية من التنوع ليس معناه التعقيد، أو الإبهام، بل البساطة فكلما كان العمل بسيطا ومتنوعا كلما كان جميلا ويحدث استجابة جمالية في القارئ.

ب-التعقيد:

يحلو لبعض المبدعين في شتى ميادين الإبداع أن يقدموا عملا في غاية البساطة، والهدف من ذلك هو جعل القارئ قادرا على تلقيه بشكل جيد وسريع، ولكن يعدّ هذا ضربا من ضروب .. إدراك القارئ على الفهم الصحيح للعمل، وهذا خطأ في حد ذاته بل إن التعقيد يستند إلى أساس سيكولوجي إذ لا نحسّ باللذة إلا بمقدار الجهد المبذول في فهمه وتلقيه واستيعابه، ولكن شريطة ألا يغلب التعقيد على العمل بحيث يؤدي إلى الإبهام وعدم الفهم البتة ذلك أن التعقيد عامل مساعد في تذوق العمل لأن البساطة المطلقة تشكل رتابة في النفوس وتصرف القارئ على التذوق الجمالي لأي عمل مقدّم.

ج-الضخامة:

تشكل الضخامة تأثيرات كبيرة على فكرة الأشياء الجميلة وندرك ذلك من خلال مشاهدة هذه الجبال الشامخة والقصور الرائعة مثل قصور الأندلس ولكن المبالغة في استعمال الضخامة قد يؤدي إلى انعكاسات سلبية في تذوق العمل الإبداعي من الناحية الجمالية.

د-الإطراء:

هو التابع في خلق العمل الفني، أي أن التواتر في تشكيل الصورة واستمرارها، من شأنه خلق الاندماج والعاطفي مع العمل الفني لأن في بعض الأحيان قد يتوفر العمل إلى مطبات وفجوات مثل أن يكون العمل جيدا، ويسير بوتيرة حسنة، ولكن فجأة يشعر القارئ أن هناك اهتزازا فنيا في بناء العمل في جانب من جوانبه.

المحاضرة الرابعة:

القيم الجمالية:

يتفق الدارسون والمفكرون والباحثون على أن المجتمعات والشعوب إذا أرادت بلوغ التحضر والتقدم عليها بالمحافظة على مجموعة من القيم التي تعمل على صيانة الأفراد والمجتمعات، وهذه القيم هي قواسم مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد من حيث التحلي بها والدعوة إليها والتمسك بها وقد تتنوع هذه القيم وتختلف من مجتمع إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، لكن في النهاية أن هذه القيم يجب أن تكون حاضرة في حياة الفرد.

ومن أجل فهم وظيفة هذه القيم لا بد من تحديدها ليسهل فيما بعد معرفة حقيقة هذه القيم، وانعكاساتها على سلوك الأفراد والشعوب ولعل أبرزها قيم أخلاقية وقيم اجتماعية وقيم دينية وقيم جمالية هذه الأخيرة هي محور محاضرتنا وحديثنا من حيث دلالاتها ووظائفها ومفاهيمها.

ونظرا لأن بعض هذه القيم الجمالية قد تتداخل مفاهيمها، وتلتقي في بعض النواحي ما جعل بعض الدارسين يخطئون في تفسيرها، وتلقيها بطريقة صحيحة، من هنا كان لزاما عليّ أن نعرض بالتفصيل لهذه القيم قصد توظيفها توظيفا صحيحا في كتاباتنا أو على مستوى المشافهة يؤكد الدارسون على أن مصطلح القيمة مأخوذ من المبادئ والمثل التي يتغنى بها الأفراد وتباهى بها الشعوب وهي التي ترسم التواصل والاتصال بين أفراد المجتمع والخروج منها يعني بالضرورة خرقا صريحا وصارخا للأسس التي اتفق عليها المجتمع على احترامها والعمل بها.

أما القيم الجمالية فهي المفاهيم الجميلة التي تميز بين الجميل والقبيح، بين ما هو رائع وبين ما هو مضحك، بين الحسن والمليح، ومع هذا هناك فروق دقيقة بين هذه القيم فيما بينها عند الحاجة إلى استعمالها في كتابتنا المختلفة.

إن حرص الأمة على هذه القيم في الأفراد كان له أثر بارز في ترقية السلوك وتهذيب الأخلاق، وترشيد التصرفات ولهذا عملت الأمم المقدمة على الدعوة إلى هذه القيم لكي لا تكون مجرد تائم تعلق في أعناق الناس أو تراتيل يرددها أو عبارة عن أقاويل جميلة تتغنى بها الشعوب، ولكن لا أثر لها في سلوك الأفراد وتطور المجتمعات بل أضحت كثير من الشعوب المتخلفة لو تؤمن بهذه القيم، وقد يكون سبب

ذلك الجهل بوظائف هذه القيم في بناء الأفراد والمجتمعات ويكون ذلك في غاية الإخلاص لهذه القيم من خلال سلوكياتهم وسرايرهم التي تبنت هذه القيم، فكان من ثمارها أن خلقت مجتمعا تماسكا، يسوده الحب والجمال، تتسارع هذه الأفراد في تقديم النموذج الأسمى لهذه القيم بعيدا عن المزايدات أو التهويلات التي أصبحت مطمع كثير من الناس وعليه عملت الأمم المتقدمة على نشر هذه القيم في مجتمعاتها، سواء أكان من خلال جعل الثقافة الجمالية مادة تدرس أو أن هناك برامج تعنى بتقديم الوعي الجمالي للمشاهد أو المستمع قصد ترسيخ فيه هذه القيم التي هي عماد التنشئة الاجتماعية إدراكا من هذه المجتمعات أن الأفراد إذا ما تحلوا بهذه الثقافة فإنه سيقومون ببناء مجتمع يحرص كل الحرص على صيانتها من كل ما من شأنه إحداث أي خلل في بنية المجتمع ومن ثم يكون رافدا قويا في تعزيز آواصر المحافظة على الفرد والبيئة والمجتمع.

ونظرا لتقارب مفهوم هذه المصطلحات فيما بينها من حيث التفسير كان لابد من تحديدها وتفسيرها على الوجه الصحيح.

جاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في القصة الآتية: قالت سكينه لعائشة بنت طلحة أن أحمل منك وقالت عائشة، بل أنا فاحتصما إلى عمر بن أبي ربيعة فقال لأقضي بينكما، أما أنت يا سكينه فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها، قالت سكينه قضيت والله.

يستنتج من هذا القول أن الملاحه تختص بها سكينه، وأن الجمال يتمثل في عائشة، ومما يؤكد ذلك ما أورده الأصفهاني في كتابه الأغاني في وصف أحوالهما كما جاء على ألسنة بعض العارفين بسكينه وعائشة يقول «كانت سكينه عفيفة.... (بارزة المحاسن) من النساء، تجالس الأجلّة من قريش وتجتمع إليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة ويروى أنها كانت أحسن الناس شعرا.

أما عائشة فكانت بديعة، مثلا حقا في تناسب التكوين واعتدال الملامح وانسجام الأعضاء.

إذا استمد عمر بن أبي ربيعة حكمه من الأوصاف التي تتصف بها كل واحدة منهما فإذا كانت سكينه مليحة... وعفيفة، فإن عائشة تتوفر على دقة المحاسن، وتناسب الأعضاء، فكانت جميلة حقا.

لكن ما يجب ملاحظته، والإشارة إليه أن هذه القيم الجمالية قد تختلف بحسب الزمان والمكان والجنس، إذ ما يكون صورة من صور الجمال في بيئة معينة وعند أقوام خاصة، فقد لا ينسحب على

سائر الشعوب والأمم. فقد فقالت امرأة خالد بن صفان له يوما ما أجملك قال: ما تقولين ومالي عمود الجمال ولا عليّ رداؤه، ولا برنسه قالت ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه؟ فأجابها: أما عمود الجمال فطوال القوام وفيّ قصرٌ وأما رداؤه فالبياض ولست بأبيض، وأما برنسه فسواد الشعر وأنا أصلع ولكن لو قلت ما أحلاك، وما أملحك كان أولى.

إذا الجمال حسن مظاهر والملاحة خفة روح، وظرافة شعور، وإحساس نبيل، وهدوء مشاعر وطيبة خاطر، وعفة وطهارة.

الحلاوة:

قد كتب الوزير الحافظ ابن حزم ومسألة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق جاء فيها: «الحلاوة دقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الإشارات، وقبول النفس لأعراض الصّور وإن لم تكن صفات ظاهرة القوام، جمال كل صفة وحدتها، ورُبَّ جميل لصفات على انفراد كل منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع ولا حلو.

الروعة:

بهاء الأعضاء الظاهرة وهي أيضا الفراصة والعتق.

أما الحسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبر عنه، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه، وهو بردٌ مكسو على الوجه، وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجتمع الآراء على استحسانه وإن لم تكن هناك صفات جميلة فكل من رآه راقه، واستحسنه وقبله حتى إذا تأملت الصفات أفرادا لم تر طائلا، وكأنه شيء في نفس المرئي يجده نفس الرائي وهذا أجل مراتب الصبابة، ثم تختلف الأهواء بعد هذا فمن مفضل للروعة ومن مفضل للحلاوة وما وجدنا أحدا قط يفضل القوام المنفرد»⁽¹⁾.

نكتشف من هذا القول أن هناك فروقا بين هذه القيم الجمالية، من حيث إن الجمال محسوس ظاهر في الأعضاء وجمال محاسن الجسم، فإن الحلاوة جمال ولكن هناك صفات داخلية هي التي تكسب هذا الجمال حسنا وبهاء، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نسوي بين هذه القيم، ونعتقد بأنها اسم

جامع لمسميات كثيرة.

ويعترف صاحب الرسالة في أن تكون الصفات أفراداً، بمعنى أن يكون مثلاً الوجه جميلاً وأبيض ولكن قد يكون صاحبه يمتاز بالقصر، وهذا لا يتناسب مع الأعضاء من حيث الانسجام والتكامل، وقد يكون فيه جمال الشعر من ناحية السواد، ولكن هناك بعض الأشياء غير جميلة كالقوام وما إلى ذلك، فالحسن عنده أن تكون الصفات مجتمعة، وليست منفردة وما يعزز هذا المفهوم هو أن ابن المقفع يقول «لا ينفع الجمال بغير حلاوة». بمعنى الحلاوة صنو الجمال، إذا فالجمال حقيقة محسوسة لا يختلف حولها إثنان والملاحة روح والحسن صورة متكاملة من حيث الجمال والروح.

أما كانط Kant فإنه يقدم مجموعة من الأمثلة على الجمال والروعة:

وقد أورد ابن الجوزي في كتابه الظرف والمتماجين عن الظرف وقد جاء مرادفاً للركة يقول «الظرف يكون في صباحة الوجه، ورشاقة القدّ ونظافة الجسم والثوب، وبلاغة اللسان وعدوية المنطق وطيب الرائحة والتقزز من الأقدار، والأفعال المستهجنة ويكون في خفة الحركة وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح ويكون في الكرم والحدود والعفو وغير ذلك من الخصال اللطيفة، وكأن الظريف مأخوذ من الظرف الذي هو الوعاء فكأنه وعاء لكل لطيف، وقد يقال ظريف لمن حصل فيه بعض هذه الخصال»⁽¹⁾.

من الأمور الرائعة	الأمور الجميلة
-الجمال الشائخة والعواصف	-المروج المرصعة بالأزهار
-الليل	-النهار
-الفضيلة	-الرفاة
-العينان السوداوان والشعر الأسود	-العينان الزرقاوان والشعر الأشقر

إن هذا التقسيم ينطوي على نظرة الألمان إلى الأمور الجميلة والرائعة وقد يكون هذا نابعا من بيئة ألمانية تختلف عن بيئات أخرى وشعوب لا تتفق مع كانط في نظرة إلى الجمال والروعة فمثلا هو يرى أن الأمور الجميلة هي (العينان الزرقاوان والشعر الأشقر).

أما عند العرب فنرى أن هذه من الأمور الرائعة لأننا تعودنا عن السواد في العينين والشعر ولكن نبحت عن هذا اللون لقلته عند النساء أما سواد العيون والشعر فهي أمور متحققة وموجودة بكثرة ولكن عند الألمان قليلة ولهذا فهي لقلته رائعة عندهم وجميلة عند العرب.

أما شارل لالو فيلسوف الجمال فقد قسّم هذه القيم من حيث التناسب الذي تستند عليه، إما في وجودها، أو في البحث عنها أو في فقدانها وقدرتها وهي ترتبط بالجوانب الثلاثة للحياة والمتمثلة في الجانب العقلي والعاطفي والعملية.

التناسب	متفق	مبحوث فيه	مفقود
عقلي	جمال	روعة	نكتة
عملي	جزالة	مأساة	تهريج
عاطفي	رقة	دراما	فكاهة

يستنتج من هذا أن الجمال الذي وقف عنده شارل لالو أن القيم الجمالية تتحد بهذه الطريقة:

-الجمال تناسب عقلي متحقق.

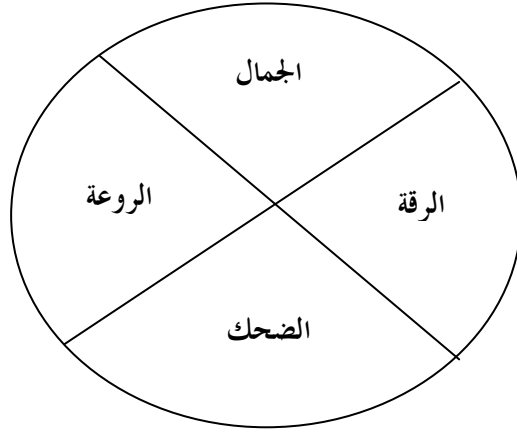
-الروعة تناسب عقلي مبحوث عنه.

-النكتة تناسب عقلي مفقود.

-الفكاهة تناسب عاطفي مفقود.

لكن للأستاذ الفيلسوف والجماليات عبد الكريم البياي وجهة نظر أخرى تختلف عن رؤية شارل لالو وتقسيمه هذه القيم من حيث علاقتها بالجوانب النفسية فهو يطرح فكرة أخرى أقرب إلى المنطق والدراسة، من خلال قضاء هذه القيم فيما بينها، وقد قسّمها عبد الكريم البياي بهذه الطريقة.

مقترح عبد الكريم البياي في تصنيف القيم الجمالية:



يستنتج من تصنيف عبد الكريم البياي للقيم الجمالية أنها تتقابل فيما بينها بحيث إنما تكون وفق هذه الدلالات.

الجمال: إحساس بمواطن الجمال، والشعور بمحاسنه ولهذا نحب كل ما هو جميل وهو يقابل الضحك لأن المضحك عنه نحتقره، ونودّ ألا يكون ضمن مجموعتنا لعدم توفر فيه الأشياء التي تدعو إلى الرغبة فيها والإعجاب بها.

الروعة: جمال مرعب مخيف مدهش يتناوب شعور بالرهبة والخوف.

الرقعة: جمال لطيف نحسّ به ولكن نعمل على حمايته والمحافظة عليه نظراً لرقته وكما قال الشاعر طرفة بن العبد.

سقط النصف ولم ترد إسقاطه تناولته وأتقنت باليد
مخضب رخص كان بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

بيدي الشاعر طرفة بن العبد إعجابه بجمال أنامل المرأة ولكن في الآن نفسه يخشى أن تعقد هذه الأنامل من فرط رقتها فيما تراها، -وهذا منتهى الرقة، من خلال إجراء تحليل لما ورد عند كانط وشارل لالو وعبد الكريم ندرک أن مقارنة عبد الكريم البياي في تصنيف القيم الجمالية بنيت على رؤية عقلانية من حيث إن هذه القيم تتقابل فيما بينها في الوجود ثم حين تلقيها تؤكد على ضرورة التقابل وهذا ما يعطي لتصنيف عبد الكريم البياي مساحة من الواقعية والتفسير الصحيح وكما قال المتنبي وبضدها تبين الأشياء.

المحاضرة الخامسة:

عناصر الشكل أو الصورة في العمل الفني من الناحية الجمالية

تؤكد الدراسات الجمالية والأدبية والفلسفية على أن للشكل حضوراً قوياً في تشكيل العمل الفني وبناء الصورة وفق مقتضيات العناصر المشكّلة لها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تشكل صورة ما ولا نراعي الجوانب الآتية:

1-التنظيم: إن من أبرز مقومات الصورة هو الجانب التنظيمي الذي يحكم العناصر ويقوم بضبط ضبها منطقياً مع مراعاة جانب التدرج في تطورها وتشكيلها، والشكل هو الطريقة التي يتخذها المبدع في بناء الصورة من خلال ترابط العلاقات وتتابعها فمثلاً في القصة يجب أن تشمل الأحداث على هذا التعالق في العناصر وترابط بعضها ببعض حتى نصل إلى العقدة ولهذا قال كولريديج وصف هذا الشعر أفضل الكلمات في أفضل نظام وقد ألحّ كولريديج في كتاباته المختلفة على تطوير الصورة الخيالية التي تقوم على صورة ذهنية مركبة، ثم يعمد الشاعر إلى صياغة هذه المادة صياغة خيالية من خلال مراعاة وحدة العمل التي يقوم عليها العمل الإبداعي من حيث وحدة أطرافه وأجزائه، وهذا ما يؤدي إلى بروز المتعة الجمالية في أي عمل فني يخضع لهذه الأطر التي ينتظم فيها العمل الفني.

2-الوحدة العضوية:

لاشك أن التناسق بين أجزاء العمل والترابط يحقق اللمسة الجمالية في العمل، والعكس صحيح، ولهذا سعت الدراسات الأدبية إلى ضرورة الاهتمام بالوحدة لأن الوحدة في الكثرة، وأن اكتمال العمل من حيث وحدة جميع العناصر، ذلك أن قيمة العمل التي تتأسس من خلال أن العناصر الضرورية يجب أن تكون حاضرة في العمل ونستغني عما ليس بضروري.

وقد أشار النقاد إلى ضرورة الوحدة في التنوع في بناء العمل الفني لأن تنوع في العناصر من شأنها إحداث لذة جمالية في النص وربما ما نلاحظه الآن في فن الرواية المعاصرة التي اكتسحت الساحة الأدبية والنقدية ويعود ذلك إلى أن الرواية أصبحت متضمنة لأنواع من الأدب كالشعر والأمثال والحكم والأغاني والرسوم ومقاطع مؤلفات كل ذلك أسهم في إدخال جوانب جمالية على النص الروائي.

ولكن الوحدة في التنوع يجب أن يراعي فيها المبدع بعض الإشارات:

1- إن التنوع يجب أن يكون خاضعا إلى إضافة نوعية على مستوى الصورة وإلا فلا داعي إلى ذلك لأن بعض الأعمال الأدبية قد يكون فيها التنوع ولكن دون أن تكون هناك إضافات أو علامات فارقة على مستوى المضمون أو الشكل.

2- ينبغي أن يكون الفارق في التنوع سببا في إضافة قيمة جمالية معينة.

3- قد يكون التكرار عنصرا مهما في إحداث قيمة جمالية، لأن ظهور التكرار لبعض المقاطع أو لازمة لفظية في عدد من الأماكن قد يسبب لذة في النص وهو ما يبحث عنه القارئ ولا يمكن اعتبار التكرار عملية ميكانيكية روتينية تقود إلى الرتابة والنمطية.

4- قد تكون غلبة القيم الحسية أو الشكلية في فن التصوير أو الموسيقى ولكن في مجال الفنون الأخرى تكون الغلبة للقيم التمثيلية لأنه الأنسب في هذه الفنون.

3- التوازن يشكل التوازن أكثر أنواع التنظيم الشكلي انتشارا لأن العمل الفني يجب أن يكون هناك تناسب وتوازن بين عناصر العمل المتشابهة وقد يتحقق التوازن بالأشياء المتقابلة أو بالأشياء غير المتشابهة.

4- التطور إن كل عمل فني يركز بالأساس على أجزاء سابقة، ولاحقة، بحيث يكون هناك تطور تدريجي في البناء وهذا ما يخلق معنى متكاملا وهذا ما يلاحظ في تنمية العقدة في القصة أو الرواية في الأدب، لأنه من غير المنطقي أن نصل إلى العقدة دون أن يكون هناك تطور أو تنامي الأحداث وتتابعها وتلاحقها لتفضي إلى المستوى الأخير في تشكيل عقدة القصة لأننا نراعي مشاعر القارئ بأن لا نصدمه دون سابق إنذار أو ترتيب أو تطور لأحداث ليجد نفسه أمام عقدة مفاجئة وهذا لا يستقيم من ناحية البناء الفني .

وفي الأخير نخلص إلى أن الشكل في التجارب الإبداعية المختلفة يؤدي وظائف معينة.

L'organisation soulage la mémoire أي أن التنظيم يريح الذاكرة

1- الشكل أو التنظيم ينظم العمل ويهدئ من الذاكرة على رأي أحد علماء النفس.

2- الشكل يضبط إدراك المشاهد ويوجه انتباهه.

3- يقوم التنظيم بترتيب عناصر العمل الفني.

4- يحدث التنظيم قيمة جمالية في العمل الفني، ويترك أثرا جماليا في القارئ .